

أما المعنى الذي توخاه كسرى في هذا الاستثناء فيته العلامة ابن الأثير في كتابه الكابل نقلا عن تلام كسرى فقال «ولما نظرت في ذلك وجدت المقاتلة أجرا لأهل العارة وأهل العارة أجرا للمقاتلة فانهم يطلبون أجورهم من أهل الخراج وسكان البلدان لمداقتهم عنهم ومجاهدتهم عن ورائهم فتحق أهل العارة أن يوفوهم أجورهم فان العارة والأمن والسلامة في النفس والمال لا يتم إلا بهم ورأيت ان المقاتلة لا يتم لهم المقام والاكل والشرب وتثبير الأموال والأولاد إلا بأهل الخراج والعارة فأخذت للمقاتلة من أهل الخراج ما يقوم بأودهم وتركت على أهل الخراج من مستقلاهم ما يقوم بموتهم وعمارتهم ولم أجحف بواحد من الجانبين؟»

وحاصلها انه يجب على كل فرد من أفراد الأمة المدافعة عن نفسه وماله فمن كان يقوم بهذا العبء بنفسه فليس عليه شيء — وهوؤلاء أهل الجند والمقاتلة — وأما من كان يشغله أمر العارة وتدير الخرج على المخاطرة بالنفس فيحقق عليه ان يؤدي شيئا معلوما في كل سنة يصرف في وجوه حمايته والدفاع عنه — وهذا هو المعنى بالجزية فانها تؤخذ من أهل العارة وتمطى للمقاتلة والجند الذين نصبوا أنفسهم لحماية البلاد واستتباب وسائل الأمن والسلامة لكافة العباد — (البقية بعد)

## الاختلاف والتفرق في الدين

ذكرنا في عدد سابق ان تقصيرات العلماء التي وصلت بنا الى ما نحن فيه اليوم عشرة ووجدنا بالكلام عليها تفصيلا في مقالات متعددة وأهمها أولها في الذكروفي سوء التأثير وهو التفرق في الدين واختلاف المذاهب في أصوله بالأخص ولما كان هذا يحتاج الى شهادة التاريخ وأينا أن نذكر بعض الوقائع التاريخية في الموضوع لما فيها من الفائدة والاعتبار ولرغبة النفوس في الاطلاع عليها وعنايتها بقراءتها. وهاؤم اقرؤا في أولها هذه الواقعة التي وقعت في مثل هذا الشهر المبارك على انها من أهون الوقائع وهي (الواقعة الأولى) لما اتصل بالملك الأشرف موسى ابن الملك العادل في دمشق (قبل خروجه الى مصر) ما عليه الشيخ عز الدين بن عبد السلام من العلم والدين وانه سيد

أهل عصره وحجة الله على خلقه أحبه وصار يلجج بذكره ويؤثر الاجتماع به والشيوخ لا يجيب  
إلى الاجتماع به وكانت طائفة من مبتدعة الحنابلة القائلين بالحرف والصوت ممن  
أحبهم السلطان في صغره يكرهون الشيخ ويضعون فيه وقرروا في ذهن السلطان  
الأشرف أن الذي هم عليه اعتقاد السلف واعتقاد أحمد ابن حنبل وفضلاء أصحابه  
واختلط هذا بلحم السلطان ودمه وصار يعتقد أن مخالفه كافر حلال الدم . ولما مال  
السلطان إلى الشيخ عز الدين دست إليه هذه الطائفة أن الشيخ اشعري العقيدة  
يخطيء من يستد الحرف والصوت ويبدعه ومن جهة اعتقاده أن يقول بقول الأشعري  
أن الخبز لا يشبع والماء لا يروي والنار لا تحرق . فاستهول ذلك السلطان واستعظمه  
ونسبهم إلى التعصب عليه فكتبوا فتيا في مسألة الكلام وأوصلوها إليه مردين أن  
يكتب عليها فيسقط وصفه عند السلطان وكان الشيخ قد اتصل به ذلك فلما جاءته الفتيا  
قل هذه الفتيا كتبت امتحانا لي والله لأكتب فيها إلا ما هو الحق فكتب العقيدة  
المشهوره فلما فرغ منها وماها إليهم وهو يضحك عليهم فطاروا بالجواب وهم يعتقدون  
أن الحصول على ذلك من الفرص العظيمة التي ظفروا بها ويقطعون بهلاكه واستباحة  
دمه وماله فأوصلوا الفتيا إلى الملك فاستشاط غضبا وقال صح عندي ما قالوه عنه وهذا  
وجل كنا نعتقد أنه متوحد في زمانه في العلم والدين وبنظر بعد الاختبار أنه من الفجار  
لا بل من الكفار وكان ذلك في رمضان عند الإفطار وعنده على سباطه عامة الفقهاء  
من جميع الأقطار فلم يستطع أحد منهم أن يرد عليه بل قال بعض أعيانهم السلطان  
أولى بالصفح ولا سيما في مثل هذا الشهر ومود آخرون بكلام موجه يوهم صحة مذهب  
الخصم يظنون أنهم بموافقته ( انظر إلى علماء السوء وفقهاء الضلال كيف استعدوا  
للسلاطين وأغضبوا الحق لأرضائهم فضاع بينهم الدين ) فلما انفصلوا تلك الليلة من  
مجلسه بالقلمة اشتغل الناس في البلد بما جرى في تلك الليلة عند السلطان وأقام الحق  
سبحانه وتعالى الشيخ العلامة جمال الدين أباعمر بن الحاجب المالكي وكان عالم  
مذهبه في زمانه وقد جمع بين العلم والعمل فتكلم في هذه القضية ومضى إلى القضاة  
والعلماء الأعيان الذين حضروا هذه القضية عند السلطان وشدد عليهم التكير . وقال  
العجب انكم كلتم على الحق وغيركم على الباطل وما فيكم من نطق بالحق وسكتم

وما اتصرتم لله تعالى وللشريعة المطهرة ولما تكلم منكم من تكلم قال السلطان أولى بالمعفو والصفح وهذا غلط يروم الذنب فان المعفو والصفح لا يكونان الا عن جرم وذنب هلا أعلمتم السلطان بأن ما قاله ابن عبد السلام مذهبكم ومذهب أهل الحق وان جمهور السلف والخلف عليه لم يخالفهم فيه إلا طائفة مخذولة يخفون مذهبهم يريدونه على تخوف الى من يستغضبون علمه وعقله وقد قال تعالى «ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون» ولم يزل ينفهم ويوجههم الى أن اصطلح معهم على أن يكتب قيا بصورة الحال ويكتبوا فيها بموافقة ابن عبد السلام فوافقوه على ذلك وأخذ خطوطهم بموافقتهم

والتبس ابن عبد السلام من السلطان عقد مجلساً للشافعية والحنابلة بمحضرة المالكية والحنفية وغيرهم من علماء المسلمين وذكر أنه يعتقد ان السلطان اذا ظهر له الحق يرجع اليه ويماقب من قوى الباطل عليه وانه أولى الناس بموافقة والده السلطان الملك العادل تقدمه الله برحمته وانه عزز جماعة من أعيان الحنابلة المبتدعة وانه أخذ خطوط العتقاء الذين كانوا يجلس السلطان في ذلك الوقت

فلما وقف السلطان على ذلك أجابه كتابة بجواب يذكر فيه انه رأى من عقيدته ما يغنيه عن الاجتماع به وانه (أي السلطان) يتبع ما عليه الخلفاء الراشدون وذكر فيه ما إذا كان الشيخ يدعي الاجتهاد فأجابه الشيخ بجواب مطول يصدع فيه بالحق فاستشاط السلطان غضباً وأمر أن لا يبقى الشيخ ولا يخرج من يده وأن لا يجتمع بالناس ففرح الشيخ لما بلغ ذلك فرحاً شديداً وقال لرسول السلطان لو كان عندي خلة تلبق بك خلعت عليك ولكن خذ هذه السجادة فصل عليها ونحن على الفتح قبلها وقبلها (وكان الرسول يعتمد صلاح الشيخ) ولما ذكر للسلطان ما دار بينه وبين الشيخ قال لمن حوله قولوا لي ما أفعل به هذا رجل يرى العقوبة نعمة تركوه بيننا وبينه والله وبهي الشيخ على هذا ثلاثة أيام

ثم ان الشيخ العلامة جمال الدين الحصري شيخ الحنفية في زمانه وكان قد جمع بين العلم والعمل ركب حماراً وحوله أصحابه وقصد السلطان فتأناه خاصته وأدخلوه الى دار الملك راكباً كما أمرهم ولما رآه السلطان مشى اليه وأنزله عن حماره واكرم

مثواه وكان ذلك في رمضان قريب غروب الشمس فلما صلا المغرب احضر السلطان قدح شراب وتاوله للشيخ فقال له الشيخ ماجئت الى طمانك ولا الى شرابك فقال له السلطان يرسم الشيخ ونحن نمثل حرسه فقال له ابش ينك وبين ابن عبد السلام هذا رجل لو كان في الهند او في اقصى الدنيا كان ينبغي للسلطان ان يسعى في جواره في بلاده ليم بركته عليه وعلى بلاده ويفخر به على سائر الملوك فقال السلطان عندي خلة باعتقاده في فتاوى خطه ايضا في رقعة سيرتها اليه فيقف الشيخ عليهما ويكون الحكيم يني وبينه ثم احضر السلطان الورقتين قراها الشيخ الى آخرها وقال هذا اعتقاد المسلمين وشعار الصالحين ويقين المؤمنين وكل ما فيها صحيح ومن خالف ما فيها وذهب الى ما قاله الخضم من اثبات الحرف والصوت فهو جاحر فقال السلطان نحن نستغفر الله عما جرى ونستدرك الفارط في حقه والله لا جعلناه أغني للماء وأرجل الى الشيخ واسترضاه وطلب محالته ومخالته

وكان الحنابلة قد استنصروا به على أهل السنة وعلت كلمتهم عليهم بل صاروا يسبونهم ويضربونهم فأمر السلطان الفريقين بالامساك عن الكلام في مسألة الكلام وان لا يفتي فيها أحد سدا لباب الخصام فانكسرت نفوس المبتدعة ببعض الانكسار وفي النفوس ما فيها ولم يترك الامر على ذلك حتى قدم السلطان الملك الكامل من مصر الى دمشق وكان اعتقاده صحيحا ومتعصبا لأهل الحق فاستبهي ما وقع في المسألة وقال الملك الأشرف ياخوند ماذا صنعت في أمر الشافعية والحنابلة فقال ياخوند منعت الطائفتين من الكلام واتعلم بذلك الخصام فقال الملك الكامل دو الله مبيع ما هذه الا سياسة وسلطنة تساوي بين أهل الحق والباطل وتمنع أهل الحق من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان يظهروا دين الله وأن يشق من هؤلاء المبتدعة عشرون نفسا ليرتدع غيرهم وأن يمكن الموحدون من ارشاد المسلمين وان يبينوا لهم طم يقي المؤمنين . فعند ذلك زلت اعناق المبتدعة وانقلبوا خائبين ورد الله الذين كفروا بضيقهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال على يد الملك الكامل واقشمت المسألة للملك الأشرف وصرح بتجلبه وحيائه من الشيخ وقال لقد غلطنا في ابن عبد السلام غلطة عظيمة وصار يرضاه ويسلم بتأويله ويقراً مصنفاته